

قصيدة المدرب الأحمر

النوم لا يأتي لهذا المحي ، بل إن المساء
يعطيه بعض نجومه ، حتى يضيء إلى الصباح
فحتل ساحرها مقاهيه التي تمتد من (سوق الملاع) (١)
وعلى جوانبها المقانق ، والسميط ،
وكل أنواع المتسالي

والمجالسون يحركون المَّهْرَ فِي عَصَبَيَّةٍ
ويناقشون بِلَا انتِهَاءٍ
عُقْدَ الْمِسَابِيَّةِ، وَالْمَرْيَاضَةِ، وَالْمَنْسَاءِ!

كانت لشلتنا المصغيرة
جلسة مأowفة في ركن مقهى..
تقاسم الأمور ففيها ، والمشاعر ، والمهموم

وتدور أغنية لـ (سومة) !
فتثير في الأعماق أشجاننا ،
وتعبث في المضلع رؤى قديمة .

وَمَعْ ارْتِشَافِ الشَّاءِ تُنْكَسِفُ الْمَغْيُومُ
وَيَقُولُ قَائِلَنَا:
أَلَيْسَ الْمَرْءُ مَوْجُودًا لِيَنْعَمْ بِالْحَيَاةِ؟
وَالْمَذْكُورَيَاتِ تَبَاعِدُتْ،
فَلَمْ تَبَاكِيْ كُلَّمَا مَرَتْ عَلَيْنَا الْمَذْكُورَيَاتْ؟
قَدْ يَبْسُمُ الْمَغْدُلُ لِلْحَزَنِ،
وَتَسْتَجِيبُ عَلَى مَدِيِّ الْأَيَامِ.. أَغْلِيَ الْأَمْنِيَاتِ

ويشوقنا نذرَّعَ المحارات فِي ليلِ الشتاءِ،
من (المؤيد) لـ (الرافعي)..
متتحدثين عن المعارك، والسيوفِ،
وعن مقاومة القلابع..
وبأى بادرة تجرأً ذلك الممدوكُ،
فاستعدى الحصانَ الحرَّ،
كى ينجو بفارسِ المشجاع..

* * * *

ونغوصُ فِي الأمس البعيد..
وقد تزيَّنت المدينةُ لاحتفالاتِ المخلافةِ
وتواصلت فِي المولد النبوي راياتُ المواكبِ،
والمشاحلُ، والمليالي المفاطميةِ
هذى شوامدهَا تحدَّق من عيونِ المشربيةِ
لكتنا نهفو إلَى حطَّينِ،
يَقُدُّمُها صلاحُ الدينِ متصرًا،
ويغفو عن ملوكِ الغربِ،
يظهرُ بالخاصَّ المقايريةِ!

* * * *

وهيَنا.. تجمَّعَ حولَ ببيرسِ المفدى..
ألفُ فارسٍ
تعاهدوا أن يُوقفوا زحفَ المتّارِ..

إلى المأبدٌ

ماذا جرى؟
ويضيفُ قائلًا:
- ألسنا من سالتهم ،
وهدنا الشبلُ من ذاك الأسد؟!

* * * *

ونكون قد صرنا.. إلى (بابِ الوزيرِ).
حيث المدافنُ، والشواهدُ، والقبورِ
يغدو حديث الجن شاغلَنا،
فنفرغ ما لدينا من حكاياتِ،
ويقربُ خطونا من خطو بعضِ
ويلفنا صمتُ المكان.. فننتقضُ!

* * * *

المصبح في تلك الأزقة لا يفاجئها..

فتتصحو.. في ارتخاءٍ
تنتفتحُ المشرفاتُ عن بعض العجائزِ،
والنساءِ المكاسباتِ!
يحكينَ كيف مضى المساءُ؟
وممتى احتوى أزواجاً هنَّ البيتُ؟
أى رطوبةٍ هيَّبت قُبَيلَ المفجرِ؟
ما هذا الشتاءُ؟!

* * * *

ومن المدرووب المضيقَةُ
تخطوا المصبايا الكاعباتِ،
لتشترين الفولَ، والخبزَ المطريَ،
وتتجتمعن على الحليبِ
(والمأسطواتِ) من المحدثات المصغيرةِ،
يرقبونَ وهم قعودٌ
لـف (المرأة)
واحمرار المكعبِ،
والموعد المغلق بالصادقِ!

* * * *

وتلوّح سائحة رشيقَةُ
فصيح بعض المعجبينِ:
- الله يعطي من يشاء!!
ويبرد بعضُ المجالسينِ:
- الحسنُ في الكفار فتنهُ
يهوى بهم نحو المشقاءِ!

* * * *

ويثير مندفعاً شجارَ
أسبابه معروفةٌ لجميعِ من يتجمّعُونَ
في سارعونَ ليوقفوا طي ش الأكفَرِ
ويطفئوا غضبَ المعيونِ!
"صلوا على طه النبي!"
وبسرعةٍ يتفرقونَ
"ذاليلوم.. مطلع بهى!"
وإذا تمر جنازةٌ،
يقف الجميعُ موجِّينَ
ومتمتمين.. بأنَّ هذا العمرَ - مهما طال - محدودٌ،
 وأنَّ المراحلينَ
لم يستفيدوا من (مكافئتها)
سوى ما قدموه.. بطيب خاطرٍ
والله أعلمُ بالسرائرِ!

* * * * *

يمضي المزمانُ ،
وذلك المحى المعمر قائمٌ لا ينحني ..
نفس الوجهه هي الوجه ،
ونفس هذه الأمكنته ..
ولربما حاكى مساجده التى قامت هنا ..
من ألف عام!
أو ربما محاكى مقابرها التى تمتص من نهر الحياة ..
على الدوام!
أو ربما كانت له أسراره الأخرى ..
وويل للذى يسعى .. لينكشف اللثام!